مرسى مطروح فى شتاء عام ١٩٣٨

عاصـــفة ...

للأســـتاذ فؤاد البهى السيد

يوم عاصف ...

وسماء مُربدة سوداء ...

وريحٌ مجنونة هوجاء ، تضج وتصخب فى عنف وقوة ، فتكاد تجتث الأشجار والأحياء ...

وبحر ثائر ، وأمواج مزبدة غاضبة ، كأنما يعول فيها ألف مارد وشيطان .

تباً لهذه الصحراء من حرباء ...

وبغضاً لهذا البحر من منافق ...

لطالما كنت أحب هدوءهما ، وأنعم بالسكينة فى جوارهما ، ولم أكُ أدرى أنّ وراء هذا الهدوء كل هذه البراكين التى تقذف بالحمم واللهب ، ولم أكُ أعلم أن وراء هذه السكينة كل هذه الزلازل التى تحطم وتخرب . إنها الطبيعة انطلقت سافرة ، ونضت عنها قناعها ، وبان منها الناب والظفر ...

أويت إلى دارى ، وأوصدت علىّ أبوابها ووقفت وراء زجاج النافذة أشهد عراك العناصر وانطلاقها ، فإذا السماء ترجمنى ببرد كالصخر ، وإذا الزجاج يتحطم عن يمينى وعن شمالى ، وتتناثر شظاياه وتملأ أرض القاعة ، وكأنما ساء الطبيعة أن ترانى أتأمل وجهها الغاضب ، والغضب يمسخ الوجوه ، ويضفى عليها ألواناً بغيضة ، وهى لا تحب للانسان أن يرى سوأتها وقبحها .

صافح سمعى قرع خفيف على باب الدار فقلت لنفسى وأنا أشعل لفافتى ، وأتأمل لهب الثقاب حتى لكأنما عزّ علىّ أن تخلو هذه الثورة كلها من لهب ونار ؟ !

— ما خطب هذه الرياح التى ما تفتأ ترجمنى ، فما أنا بإبليس ، وما دارى بالعقبة وما تلك بشهور الحج ... وما ...

وعاد القرع قوياً شديداً ، فهبصت لأستقبل طارد العاصفة ، فإذا هو زنجى عملاق ، ابتلت منه الثياب ، واصطكت منه الأسنان ، وامتدت منه اليدان ترجوان مأوى وملجأ ، قلت فى حيرة :

— تفضل

قال وهو يوصد الباب وراءه :

— شكراً

قلت أحاوره :

— ما دفعك على السير والعاصفة فى نشوتها سكرى تحطم وتخرب ؟

قال :

— إنما كنت فى طريقى إلى دار مولاى السيد السنوسى

. . . . . .

السنوسيون

إنى أعرفهم وإن لم أكن قد رأيتهم بعد ...

عرفتهم فى مجدهم وإيمانهم وسحرهم الذى بسطوه على هذه الصحراء ، فإذا كل ضارب فى أرجائها ودروبها ، وكل سار فى لياليها وأمسياتها صديق لهم أو رفيق أو تابع

عرفتهم من هذه الصورة الحلوة التى رسمها لهم رحالتنا الكبير أحمد باشا حسنين « فى صحراء ليبيا »

وعرفتهم مما كتبته عنهم « روزيتا فوربس » فى مغامراتها فى الصحراء الغربية مع رحالتنا ، حينما ضلا طريقهما وظلا بين الحياة والموت أياماً كانا فيها كالمشرف على هاوية ، يروعه عمقها وترعبه ظلمتها ، وهو على حافتها ، يهتز ويتأرجح فى فزع مميت ، ولقد نجت ونجا صاحبها ، وأهدت كتابها إليه

وعرفتهم من أحاديث رفاق عنهم بعد أن تركوا ديارهم ، واحتموا بمرسى مطروح من عذاب الاستعمار وشره

وعرفتهم مما كتبت عنهم الصحف فى قتالهم للمغتصب الفاتك

وعرفتهم فى احتمالهم الأذى ، واضطبارهم عليه وتجملهم له

وعرفتهم بعد ذلك ، ولقيتهم وصحبتهم طويلاً ...

. . . . . .

صاح رفيقى وكأنما هو يقرأ كل ما يدور بخلدى :

— أتعرفهم

فابتسمت له وأنا أقول :

أأنت تعرفهم . أعني أصحبتهم طويلاً ؟ !

فنظر إلى وهو يقول :

— أأعرفهم ؟ !

ثم ابتسم الرجل ابتسامة حزينة واستطرد قائلاً :

— لقد ولدتني أمي في دارهم ، وعشت صباي وشبابي في واحتهم الكفرة ، ثم رحلت عنها فيمن رحل لا ظاعنا لأعود ولكن طريداً فقد الدار والأهل ، والله وحده يعلم ماذا حل بالأم والزوجة والأطفال من بعدي . لقد أسرعت إلى بعيري ورمحي ، لكن ماذا يجدي البعير والرمح والرفاق من حولي يموتون من حيث أرى ولا أرى ، ولقيت ابني الصغير يهيم على وجهه باكياً صارخاً فمددت له يدي وأردفته ورائي وأسرع بي البعير يعدو ، وأحسست بالطفل يسقط فأمسكته من رجله وظل معلقاً هكذا ساعة أو بعض ساعة ، وأنا أعدو به وهو يبكي ، وأنا لا أكاد أسمع صراخه وبكاءه وسط هذا الصخب وتلك الضجة

ثم صمت الرجل ودوى صوت الرعد رهيباً قاسياً ، وثارت الطبيعة من حوله ومن حولي ، وعلا صوت ارتطام الأبواب والنوافذ ودقات قطرات المطر المتلاحقة السريعة على الزجاج ...

واستطرد يقول وكأنما هذه الطبيعة الغاضبة لا تعنيه :

— وأقمت لنفسي على تأرجح البعير وهو يمشي الهوينا ، وقد صمت الأصوات من حولي ، وابتلعت الصحراء صوت كل صارخ فيها وهاتف ، ونظرت لطفلي فإذا هو ثابت الأحداق ، وأحسست ببرودة بدنه كبرودة البئر في ليالي الشتاء ، فاحتضنته وأنا أبكي بكاء لم أبكه من قبل ، وسار بي البعير في دروب لا أعلمها ، وضللت في الصحراء طويلاً ، ونفق البعير ، ودفنته مع الطفل وسرت وحدي كمخلوق معتسف ضال يهيم على وجهه ظامئاً ككلب يلهث ...

وصمت الرجل ولعله كان يجاهد عبرة تتألق في محجريه ، وتنهدت وأنا أقول له :

— ما اسمك ؟ ... قال :

— فرحات ... فرحات يا سيدي ، وإن كنت لم أنعم بهذه الفرحة التي وسموني بها قط ! ... ولعلهم كانوا يتشاءمون من مصيري فسموني بهذا الإسم ، كما يسمون اللديغ سليما وهو يعاني نفثة الأفعى أو سم العقرب

... ...

وفي الصباح علمت بما فعل السيل ودمر

فلقد صعق رجل وجمل بالجبل !

واجتاحت السيول سيارة براكبها فأغرقته وهو في طريقه من الدلوم إلى مرسى مطروح

وبعد أيام زارني فرحات ، وتوثقت بيننا الألفة وظل عاماً معي ولم أكد أدري أن هذا العملاق الكبير يحمل بين جنبيه هذا القلب العطوف الحنون ... لقد كان وديعاً كطفل طاهر بريء !

ما أظن يا فرحات أني سألقاك وقد نأت بنا الديار

من يدري ؟

أتهيم الآن في صحرائك ضالاً معتسفاً ؟ أم عدت إلى واحتك ؟ أم قاضت روحك ... ؟

الله وحده يعرف أين ألقت بك العاصفة ... ... ؟ !

فؤاد البهي السيد

حكم بجلسة ٤ مارس سنة ٩٤٢ في الجنحة ٢٦٩ سنة ٩٤٢ عسكرية المليا بتغريم علي علي محمود بالقيس ٣٠٠ قرشاً وغلق محله لمدة ثلاثة أيام لبيعه لحماً بأزيد من التسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٨ ابريل سنة ٩٤٢ في القضية رقم ٦٧١ سنة ٩٤٢ ضد علي رزق الهلب بقال بدمنهور بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لبيعه ذرة بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ٢٧٦ سنة ١٩٤٢ ضد محمد مرسي الروبي تاجر غلال بالمحمودية بتغريمه ٢٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع قمحاً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ٢٢ ابريل سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ٢٦٠ سنة ١٩٤٢ ضد عبد الغني عبد الله عميرة تاجر بشبراخيت بتغريمه ١٠٠ قرش وغلق المحل لمدة يومين والنشر على مصاريفه لعرضه للبيع عدساً بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

حكمت محكمة دمنهور العسكرية بجلسة ١٥ ابريل سنة ١٩٤٢ في القضية رقم ٧٥٣ سنة ١٩٤٢ ضد ابراهيم أحمد موسي تاجر منى فاتورة بدمنهور بالحبس خمسة عشر يوماً مع الشغل والنفاذ والنشر على مصاريفه لبيعه قماشا بسعر أزيد من المحدد بالتسعيرة

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)